سوسيولوجيا الموت

تحليل خطاب ما بعد الموت

أسماء فريد الرجال[*]

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المعنى الخفى وراء خطاب الموت، والكشف عن كيف ينظر المجتمع للمتوفى بالإضافة إلى التصورات التى يشكلها المجتمع حول الموت، ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على استمارة تسجيل الموقف والملاحظة بالمشاركة بهدف تجميع عدد من المواقف التى تتحدث عن المتوفى، وقد تم تجميع ٥٠ موقفًا من أماكن مختلفة (الشوارع – البيوت – وسائل التواصل الاجتماعى)، ولتحليل هذه المواقف اعتمدت الدراسة على التحليل الكيفى باستخدام منهج تحليل الخطاب للكشف عن الدلالات والمعانى الكامنة وراء الخطاب، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك دلالات رمزية للخطاب عن المتوفى يتأثر بالمكانة الاجتماعية والانتماء الطبقى والانتماء السياسى والسن والصحة والمرض...إلخ.

أولاً: مقدمة فى أهمية الموضوع

يعد الموت من الموضوعات الشائكة التى لم يتعرض لها أحد بالدراسة نظرًا لغموض الموضوع وقداسته والخوف من الخوض فيه، مثل هذه الموضوعات التى يشوبها جانب كبير من الغموض وعدم الفهم والخوف منها. وبالتأكيد لا نستطيع هنا أن نقول إن هناك العديد من الدراسات التى توصلت لنتائج بخصوص دراسة هذا الموضوع، لأن تناوله بالفعل ضعيف جدًا ويكاد يكون غير موجود إلا القليل من الدراسات الأنثربولوجية التى تتطرق دائمًا لدراسة الطقوس الجنائزية، وبعض التأملات الميتافيزيقية والآراء الفلسفية والدراسات اللاهوتية.

فالموت مصير كل إنسان، ولكن لا أحد منا يتمناه للاعتقاد بأنه شر حتى فى حديثنا اليومى إذا دعا أحد بالموت يكون الرد "بعد الشر" فرغم حتميته إلا أن الكثير من البشر يعتبره شراً يخاف منه ويتمنى البُعد عنه، فالبعض يأتى له الموت بالشر والعلامات والدلالات التى تدل على سوء الخاتمة، والبعض الآخر يأتى له الموت بكل الخير ومصحوب بعلامات مرئية وحسية وذات روائح ذكية مما يدل على حسن خاتمة المتوفى. وعلى الرغم من ذلك فقد وجدنا الموت فى الفترة الأخيرة يداهمنا من كل ناحية بسبب جائحة كورونا التى اجتاحت العالم فجأة بدون أية مقدمات لتحصد

---

[*] باحثة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

آلاف بل ملايين الأشخاص على مستوى العالم وكأن الجائحة تريد تأكيد الشر الذى يريد الناس البُعد عنه وهو يهاجم كل مكان ليحصد الأرواح، وبالإضافة إلى ذلك هناك من يعتبر الموت حسدًا وبالأخص موت الفجأة مثلما شاهدنا فى الفترة الأخيرة موت اليوتيوبر مصطفى حفناوى (١) فى عام ٢٠٢٠ عن عمر ٢٥ عامًا بعد تعرضه لغيبوبة مفاجئة، وذلك بعد أن ذاع صيته بشكل كبير جدًا وتحقيق الترند(٢) على مواقع السوشيال ميديا وإعلانه افتتاح مطعم، وتردد الكثير بأن سبب الوفاة هو الحسد أى تأكيد بأن الموت شر.

ومن ناحية أخرى، نجد بعد الإعلان عن وفاة أى شخص تكثر حوله الأقاويل والروايات ما بين روايات حقيقية وأخرى مزيفة مبالغ فيها أو تتحول إلى حكايات أسطورية وخرافية لا يصدقها عقل، ويتعرض هذا البحث لدراسة تلك الروايات التى ينطق بها لسان حال الناس، وبالإضافة إلى ذلك يمكن رصد بعض التغيرات القيمية فى حالات الجوائح، فقد شاهد جميعنا موقف رفض أهالى إحدى القرى لدفن طبيبة أصيبت بالكورونا أثناء تأدية عملها والذى يعد من المواقف المؤلمة فى نفوسنا جميعًا، فأين هيبة وحرمة الموت التى يحسب لها ألف حساب لدى أهالينا ومجتمعنا، وأين الأقوال التى نتحدث بها من تراثنا وديننا "إكرام الميت دفنه"؟ كل ذلك ذهب فى مهب الريح خوفًا من العدوى، علينا أن نؤكد أن وقت الأزمات مثلما له عيوبه فهو بالتأكيد له ميزات، ولكن عندما تكون العيوب فجة فهى التى تلفت النظر أكثر من رصد الميزات. فقد أتت الكورونا بما لا نشتهى وأظهرت سلوكيات سلبية أكثر ما يمكن أن نرصده من إيجابيات.

نحن هنا بصدد تناول إحدى القضايا المهمة التى يكتنفها الغموض فى التناول عبر الدراسات السوسيولوجية والتى نستطيع أن نقول أن تناولها نادر، وهى قضية الموت المسكوت عنها والخطاب الذى يقال عن المتوفى المرتبط بحسن الخاتمة وسوء خاتمة المتوفى، "فالموت هو البداية المؤدية إلى العالم الآخر، عالم الأموات وفضاء المقابر والمدافن"(٣). وقد شغلت قضية الموت الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين فى المقام الأول حيث اهتموا بدراسة البعث والحياة بعد الموت والخلود، وقد أولى القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا بهذه القضية.

كما اهتم علم البيولوجيا بدراسة الموت من جانب تقرير العمر التقريبى للوفاة، وقد اهتم علم النفس بدراسة الآثار التى يتركها الموت على أقارب المتوفى مثل (الاكتئاب_ الانتحار...). ومن ثم نجد أن علم الانثروبولوجيا اهتم بدراسة الموت وطقوسه لأنهما يعكسان القيم الاجتماعية والثقافية التى يرتبط بها الأفراد فى حياتهم، والخبرات التى يمرون بها.

فنستطيع أن نرصد أن "الإنسان يمر بمراحل كثيرة فى حياته يقيم لها الحفلات منذ مولده (السبوع)، مرورًا بحفل الختان، والتخرج، والزواج، وبعد المرور بكل هذه المراحل التى تثير لدى الإنسان الفرح والسعادة تأتى المرحلة التى يقام لها حفل كبير، ولكن فى هذه المرة لن يكون حاضرًا فيه ويكون حفلاً حزيناً، وهو حفل العزاء بعد الوفاة. ويرجع الحزن نظرًا للغموض الذى يتسم به الموت وجوانبه الخفية والمجهولة، ولأنه خبرة غير مسبوقة فهو تجربة فريدة خاصة بصاحبها. كما يشكل الموت الحلقة الأخيرة من حلقات طقوس العبور، والموت من وجهة نظر "فان جنيب" Arnold Van Gennep[٤]من أبرز التغيرات التى تلحق وضع الإنسان، وتؤثر بشكل مادى عليه.

فدراسة الخطاب المتعلق بأحداث الموت يساعدنا فى التعرف على التصورات والعقائد الدينية، ونستطيع من خلاله أن نرصد تحول الدين إلى ممارسة فى الواقع الميدانى. "ومن ثم يتوفر لدى كل جماعة إنسانية تنظيم اجتماعى لخبرة الموت، مثلما الأمر بالنسبة للميلاد ومختلف أزمات الحياة، وذلك باعتباره أزمة شخصية وأسرية من ناحية وباعتباره أزمة للبناء الاجتماعى واستبدال الدور من ناحية أخرى. وتتم مواجهة الأزمة العاجلة من خلال الشعائر الجنائزية والممارسات الخاصة بالمجتمع. أما المشكلة الخاصة بنقل الثروة والوضع الاجتماعى فتتم مواجهتها بواسطة قواعد الوراثة والخلافة"[٥].

ثانياً: إشكالية الدراسة وأهميتها

لقد شغلت فكرة الموت الإنسان منذ قديم الزمان، أخذت مجالاً واسعًا فى معتقداته ودينه، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن المتوفى والطقوس التى يمر بها إلى حياة البرزخ، ولكننا نعنى بدراسة المعانى والدلالات الرمزية والاجتماعية التى ترتبط بالخطاب الذى يقال عن المتوفى (خطاب حسن الخاتمة، وخطاب سوء الخاتمة). فخطاب الموت يعد سمة من سمات التضامن والتآزر والتعاطف مع أقارب المتوفى لمساعدتهم فى تجاوز المصاب الذى حل عليهم. تعمل على نقل أقارب المتوفى من الوضع القلق إلى الوضع المطمئن، وهى نوع من التضامن الاجتماعى. ويختلف هذا الخطاب طبقًا للانتماء الطبقى وصلة القرابة ونوعية الوفاة هل الوفاة بمرض أم حادث...إلخ، وأيضًا وفقًا لسن المتوفى فلو كان طفلاً أو شابًا يكون الخطاب أكثر تضامنًا وتآزرًا لأهل المتوفى فى مصابهم الجلل. ويظل هذا الخطاب رأسمالًا رمزيًا على حد تعبير بيير بورديو Pierre Bourdieu ، كما أنه "يؤكد الرؤية الأنثروبولوجية القائلة بأن الإنسان كائن رمزى بامتياز. أى أنه يستطيع أن يخلق

فضاءات رمزية أخرى يجسد من خلالها حالاته وأفكاره والمعانى التى يريد إيصالها للغير سواء كان ميتًا أو حيًا"[٦].

وفى ضوء ذلك، هناك من يصنف الأموات إلى أشخاص سيئة وأشخاص طيبة، ولكل منه مواقفه التى تظهر عند الموت بداية من ساعات الموت الأولى، فيردد كثير من الناس أن علامات حسن أو سوء خاتمة المتوفى تظهر أثناء غسله، وإقامة طقوس الدفن (تشييع الجثمان). من ثم علينا ونحن نتأمل هذه القضية، أن نفهم ونفسر هذه العملية فى ضوء سياقها الذى يؤثر فيها ويتأثر بها، ولقد أبرزت العديد من الدراسات الاجتماعية أن الإنسان يتأثر ويؤثر فى البيئة المحيطة به. واعتمادًا على أن النظرة إلى الموت تختلف تبعًا لموقف صاحبها ومنطقه ودوافعه، واعتمادًا على عدد من المتغيرات الشخصية، كالسن والجنس ونمط الشخصية والمهنة، والصحة والمرض، والانتماء الطبقى، كما يرتبط من ناحية أخرى بما يحدث بعد الموت، كيوم القيامة والبعث والحساب والجنة والنار. فنقطة الانطلاق هنا تكون عند السؤال عن: **كيف يمكن أن يكون لخطاب الموت معنى؟** ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات أخرى: ما الموت؟ ما التصورات حول الموت؟ ما موضوعات خطاب الموت؟ كيف ينظر المجتمع للمتوفى؟

تأتى أهمية هذه الدراسة بسبب قلة الدراسات التى تطرقت لموضوع الموت بالدراسة، "على الرغم من أن الموت يحتل منزلة خاصة فى حياة المصريين من حيث اعتقادهم بأنه انتقال من حياة أولى فانية إلى حياة أخرى باقية. ولعل هذه المنزلة تتضح من خلال ما أولاه المصريون القدماء من اهتمام بالموت وأماكن دفنهم، ذلك الاهتمام الذى فاق رعايته للأحياء وأماكن إقامتهم، وذلك للاعتقاد السائد لديهم عن الخلود فى حياة أبدية سرمدية" [٧].

ثالثاً: **الاستراتيجية المنهجية**

للإجابة على التساؤلات التى تم طرحها فى الإشكالية سوف نوضح ذلك من خلال استراتيجية الدراسة:

١- **مبادئ منهجية**

تقوم الاستراتيجية المنهجية لهذه الدراسة على عدة مبادئ:

- **استخدام منهج تحليل الخطاب،** للكشف عن الافتراضات الكامنة خلف الخطاب موضع التحليل. "إن هدفنا هنا هو فك شفرة النص بالتعرف على ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفهومات. ونحن إذ نفعل ذلك فإننا نسعى إلى تفكيك النص لكى يكشف لنا عن معانيه

وتجلياته. وكما يؤكد المتخصصون فإن تحليل الخطاب لا يجيب بالقطع عن كل الأسئلة الخاصة، ولكنه يحاول أن يطل على النص من أعلى لكى يكون فكرة عامة وشاملة عنه، وذلك كمقدمة لسبر غور النص، بالتعرف على ما يضمره من قضايا وميول واتجاهات ومفهومات، ولذلك فإن تحليل الخطاب هو محاولة للتعرف على الرسائل التى يود النص أن يرسلها، وأن يضع هذه الرسائل فى سياقها التاريخى والاجتماعى"[٨]. ويمكننا هذا المنهج من استخدام استراتيجيات فرعية مثل: تفكيك النص– نقد النص والسياق– التأويل– تحليل القصدية التواصلية.

- جمع مادة كيفية من خلال صحيفة تسجيل الموقف وباستخدام الملاحظة بالمشاركة، للحصول على بيانات تمكننا من الخروج بنتائج ذات دلالة، بالإضافة إلى تسجيل بعض الأخبار المتعلقة بالمشاهير.
- تحليل المادة فى ضوء سياقها الاجتماعى والثقافى.
- الجمع بين التفسير والتأويل.

٢- أدوات جمع البيانات

تركز هذه الدراسة على استراتيجية بحثية تقوم على تسجيل المواقف التى تحدث أمام الباحثة لجمع بيانات تفصيلية، ولذلك فقد اتخذت الأسلوب الكيفى فى الدراسة، لتحقيق الهدف المنشود من الدراسة، ومن ثم استعانت الدراسة بأداتين هما: استمارة تسجيل الموقف والملاحظة بالمشاركة، وكذلك تمت الاستعانة بأشخاص يحكون ويسردون للباحثة مواقف متعلقة بموضوع الدراسة، تم البدء فى التسجيل قبل جائحة كورونا واستمر التسجيل أثناء الجائحة، وفيما يلى تقوم الدراسة بتحديد الأدوات الرئيسة:

استمارة تسجيل الموقف: خصصت هذه الاستمارة لتسجيل الموقف الخاص بأحوال المتوفين فى الريف والحضر، وقد تم تدوين مكان الموقف، وجنس المتحدث (ذكر– أنثى)، وتدوين الموقف بذات لغة المتحدث دون أى تصرف من الباحثة.

الملاحظة بالمشاركة: أثناء فترة الانشغال بالتفكير فى موضوع البحث ظلت الباحثة تلاحظ المواقف والخطابات بشكل عشوائى فى البداية حتى تبلورت فكرة البحث، ومن ثم أصبحت الملاحظة بشكل منظم لتسجيل وملاحظة كل موقف بشكل دقيق يتعلق بموضوع الدراسة.

اعتمدت الدراسة على استمارة تسجيل الموقف أثناء تواجد الباحثة فى المواقف المتعلقة بموضوع الدراسة سواء كان عزاء أو تشييع الجثمان أو فى المقابر وقت الدفن أو بالحديث مع أفراد المجتمع عن أحد الأموات، وقد ساهمت الملاحظة بالمشاركة فى إثراء البحث من خلال ما تم اكتشافه أثناء الملاحظة، وقد تم تسجيل (٥٠ موقفًا) من الحياة اليومية من عينة من مختلف فئات المجتمع الشباب وكبار السن من الذكور والإناث.

٣- العينة

طبقت الدراسة تحليل الخطاب على عينة من خطاب الجمهور (شباب ورجال ونساء) حول خطاب حسن الخاتمة وسوء الخاتمة للمتوفى تم تسجيلها من خلال استمارة تسجيل الموقف، ولا يقصد هنا بالمواقف أن يكون الباحث عضوًا فاعلًا فيها فحسب وإنما المواقف التى تحث على مرأى ومسمع منه[٩]، بالإضافة إلى تسجيل بعض الأخبار المتعلقة بالمشاهير من الإعلاميين والفنانين بعد وفاتهم. وبلغ عدد المواقف التى تم تسجيلها (٥٠ موقفاً)، منها (١٠ مواقف) بنسبة ٢٠٪ تم تسجيلها فى الريف، و(٤٠ موقفًا) بنسبة ٨٠٪ تم تسجيلها فى الحضر بالقاهرة والجيزة، وتنوعت العينة بين (شباب ورجال ونساء)، كما تنوعت وتعددت الأماكن التى تم تسجيل المواقف فيها. ونقدم فيما يلى بعض الخصائص الإحصائية للمواقف والمشاركين:

جدول رقم (١)

توزيع المواقف وفقاً للمكان

المكان	ك	٪
دار مناسبات (العزاء)	١٤	٢٨٪
المسجد (تشييع الجثمان)	٤	٨٪
المقابر	٢	٤٪
وسائل النقل العام	٨	١٦٪
المنازل	١١	٢٢٪
الشارع	١	٢٪
السوق	٣	٦٪
النادى	١	٢٪
المواقع الإلكترونية	٦	١٢٪
المجموع	٥٠	١٠٠٪

يتضح من جدول رقم (١) أن أكثر المواقف تم تسجيلها فى دار المناسبات (وقت العزاء) بنسبة ٢٨٪ حيث سجل ١٤ موقفاً، وتأتى فى المرتبة الثانية المنازل حيث سجل فيها ١١ موقفاً بنسبة ٢٢٪، واحتلت المرتبة الثالثة وسائل النقل العام بعدد ٨ مواقف بنسبة ١٦٪، وبعد ذلك المواقع الإلكترونية ٦ مواقف بنسبة ١٢٪، وتقل أعداد المواقف تدريجياً وفقاً للمكان كما هو موضح بالجدول.

أما عن المشاركين فى المواقف التى تم تسجيلها فقد بلغ عدد الذكور ١٣ بنسبة ٢٦٪، وعدد الإناث ٣١ بنسبة ٦٢٪، وتم تدوين ٦ مواقف من المواقع الإلكترونية بنسبة ١٢٪.

جدول رقم (٢)

توزيع المشاركين فى المواقف وفقاً للنوع

النوع	ك	٪
ذكور	١٣	٢٦٪
إناث	٣١	٦٢٪
مواقع إلكترونية	٦	١٢٪

٤- أساليب التحليل والتفسير

اعتمدت هذه الدراسة على أسلوب التحليل الكيفى الذى يهدف إلى "تقديم المادة الكيفية فى شكل وصفى يبرز الدلالة السوسيولوجية ووضعها فى سياق أعم وأشمل بحيث تكتسب دلالاتها الاجتماعية"[١٠]. ولتحقيق هذا الهدف تم تحليل استمارة تسجيل الموقف فى ضوء الإطار النظرى للدراسة. كما تمت قراءة مخرجات استمارة تسجيل الموقف، وتم تحليل المادة وفقاً للمستويات التالية:

أ- تم تصنيف المادة وفقاً لنوع الخطاب (حسن الخاتمة – سوء الخاتمة).

ب- تم استخلاص أهم المواقف والعبارات واستخدامها فى دعم نتائج الدراسة والتدليل عليها.

أما بالنسبة للتفسير، فقد جمعت هذه الدراسة بين التفسير الكلى والتفسير الجزئى، وذلك انطلاقاً من فكرة أساسية مؤداها: إن الخطاب موضوع الدراسة لا ينفصل عن السياق الكلى للمجتمع. ومن هنا فإن تفسير البيانات الإمبيريقية سوف يرتبط دائمًا بالسياق الاجتماعى والثقافى للمجتمع، ويتجه التفسير هنا إلى إبراز الكيفية التى يتم بها تلقى الخطاب المرتبط بالموت فى ضوء السياق المحيط به، وذلك وصولاً إلى تحقيق أهداف الدراسة، ومن ثم اعتمدت الدراسة على نوعين من التفسير:

١- التفسير فى ضوء الإطار النظرى للدراسة وربط نتائج الدراسة به.

٢- التفسير فى ضوء نتائج الدراسات السابقة، وذلك تأكيدًا على نتائج سابقة، أو التوصل إلى نتائج جديدة ومغايرة، بالإضافة إلى توضيح الفروق بين نتائج الدراسات.

رابعاً: المفاهيم الأساسية

نحاول فى هذا الجزء من الدراسة أن نعرض للمفاهيم الرئيسة التى تقوم عليها الدراسة، وسوف يكون التركيز هنا على مفهوم الخطاب ومفهوم الموت الذى أصبح مألوفًا فى الدراسات الإنثربولوجية، فإن كلًا من مفهوم حسن الخاتمة وسوء الخاتمة لم يحظ بهذا الانتشار. ولن ندخل هنا فى تعقيدات نظرية حول المفهوم فسوف نعرض لبعض المحاولات السابقة لصياغة مفهوم حول الخطاب والموت، ومن ثم نحاول فى الختام أن نحولها إلى تعريفات إجرائية؛ بمعنى تحديد المؤشرات الواقعية الدالة على حسن الخاتمة وسوء الخاتمة كما تسود فى المجتمع المصرى.

١- الخطاب

للخطاب العديد من التعريفات على المستوى اللغوى والاجتماعى نسرد منها هنا تعريف المعجم الوسيط، فيعرف الخطاب بأنه "اللغة، الكلام، أو الرسالة [١١]. ويستخدم مفهوم الخطاب فى علم اللغة بمعانٍ ثلاثة أشار إليها أحمد زايد فى دراسته خطاب الحياة اليومية وهى: (١) الإشارة إلى الطريقة التى تشكل بها الجمل نظامًا متتابعًا تسهم فى نسق كلى متغاير ومتحد الخواص لتشكل نصًا مفردًا، أو الطريقة التى تتألف بها لتشكل خطابا ينطوى على أكثر من نص مفرد؛ (٢) أو أنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظى؛ (٣) أو هو مسوق من العلاقات المتعينة التى تستخدم لتحقيق أغراض معينة [١٢] والخطاب فى المعنى الأول، هو نص مكتوب، وفى المعنى الثانى، كلام ملفوظ، وفى المعنى الثالث، رؤية أو قل إيديولوجية، ولا تخرج هذه المعانى عن المعنى اللغوى للخطاب بأنه كلام أو رسالة. وسواء كان نصًّا أو كلامًا ملفوظًا أو علاقات، فإن الخطاب ليس قولاً ولا كلاماً مرسلاً، وإنما هو كلام له نظامه الخاص[١٣]. كما يعتبر فوكو Michel Foucault أن الخطاب هو "التحديد الخارجى لمجمل الوعى الاجتماعى"، فى حين أن بورديو Bourdieu يعتقد بأن الخطاب هو "الوعى الاجتماعى الذى تم تحديده بواسطة البنية التحتية الموضوعية للعالم"[١٤].

وبعد هذا العرض علينا أن نُعرف خطاب الموت إجرائياً لتحديد مؤشراته الواقعية الدالة عليه: وهو الكلام الصادر من عموم الناس، والذى يتجسد أثناء التفاعلات فى المواقف المرتبطة بالموت (عزاء – تشييع الجثمان – المنزل...) سواء كان مسموعًا أو مكتوبًا.

١- مفهوم الموت

هناك العديد من التعريفات التى تخص مفهوم الموت، فقد تم تناول المفهوم من عدة تخصصات مختلفة منها الدينى والطبى البيولوجى والاجتماعى والنفسى ولكل منها استخدامه ومعناه فيما يفيد التخصص، ونعرض هنا لبعض منها:

الموت هو نهاية كل شيء تعرفه عن: جسدك، عقلك، عملك، طموحاتك، الأشياء التى قمت ببنائها، الأشياء التى تريد القيام بها، الأشياء التى لم تنته منها، الأشياء التى كنت تحاول إنهاءها، هناك نهاية لكل ذلك عندما يأتى الموت. هذه هى الحقيقة.. النهاية [١٥].

يعرف الموت بيولوجيا بأنه "توقف دائم للوظائف والعمليات الحيوية التى تحافظ على وجود الكائن الحى على قيد الحياة [١٦].

فقد أورد دافيد ليستر David Lester ثلاثة مفاهيم للموت كما يراها الراشدون وهى [١٧]:

١- الموت بوصفه وسيلة يحاول بها الفرد تحقيق أهداف معينة، وجوانب إشباع من البيئة كما فى حالة التهديد بالانتحار.
٢- الموت بوصفه انتقالًا إلى حياة أخرى، والتى قد ينظر إليها على أنها حياة رهيبة فظيعة أو حياة رائعة ينتظرها الشخص بخوف أو بهدوء.
٣- الموت بوصفه نهاية نتوقعها.

ويعرف كاستنباوم Kastenbaum, Isenberg علم الموت والاحتضار، بأنه "علم دراسة الحياة التى نغادرها بالموت" [١٨]. إن مفهوم الموت مرتبط لدى الكثيرين بانفعالات عنيفة ومشاعر جياشة واتجاهات سلبية [١٩]، ويبين كل من كاستنباوم وأيزنبيرج عام (١٩٧٢) فى مؤلفهما عن سيكولوجية الموت، أن هناك عدة مسلمات ينبغى وضعها فى الاعتبار عند تناول مفهوم الموت بالبحث. وهذه المسلمات هى [٢٠]:

١- إن مفهوم الموت نسبى دائمًا.
٢- إن مفهوم الموت يتسير بنمو الشخص. حيث إن تزايد العمر الزمنى يؤثر فى طريقة التفكير، فلكل مرحلة عمرية نوعية من النمو العقلى مختلفة.
٣- إن مفهوم الموت معقد.
٤- يتأثر مفهوم الموت بالسياق الموقفى أو بعوامل موقفية عديدة.
٥- لا يمكن فصل مفهوم الموت عن السلوك. فسلوك الشخص يتأثر بمفهومه عن الموت، ومفهومه عن الموت يؤثر فى سلوكه كذلك.

ويمكن هنا أن تتبنى الدراسة تعريف كاستنباوم للموت كتعريف إجرائى.

خامساً: مراجعة الدراسات السابقة حول الموت

"لا يجادل أحد فى أن الموت شكل موضوع تأمل منذ القدم، فلقد قررت الأسطورة أصله وفسر الدين مغزاه وتأمله العقل الإنسانى منذ فلاسفة اليونان إلى هيدجر وسارتر وجانكليفتش مروراً بفلاسفة الإسلام، لكن رغم تنوع كتابات هؤلاء وإسهامات كل منهم فى إغناء الفكر البشرى ووسمه بطابعه الخاص، فإن هناك نقطة مشتركة تجمع بين هؤلاء المفكرين جميعاً، ذلك أن الموت شكل دائم لموضوع تأمل فلسفى محض. أما الموت كظاهرة اجتماعية ثقافية، أى كموضوع للعلوم الإنسانية

فكان لا بد من انتظار النصف الثانى من القرن ٢٠ ليتحرر من إمبريالية الفلسفة ويصبح موضوع بحث ودراسة فى مجال التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا" [٢١].

تدور هذه الدراسة التى بين أيدينا حول محور مهم، وهو الموت، وينقسم هذا الموضوع إلى محورين. ومن هنا كان علينا أن نبحث عن تراث بحثى تناول هذا الموضوع من شتى جوانبه. ولكن من المعروف أن هذا الموضوع يعد من الموضوعات حديثة التناول داخل علم الاجتماع، ولم يتم تناوله بشكل واضح فى البحوث؛ ومن ثم نجد صعوبة فى الحصول على تراث بحثى تناول موضوع الموت وبالأخص (خطاب حسن الخاتمة وسوء الخاتمة). فيما اهتمت بالموضوع بعض الدراسات الأنثروبولوجية، وقد تعددت الجوانب التى تناولتها هذه الدراسات. فقد حاول البعض دراسة طقوس الموت (طقوس العبور)، وسعى آخرون لدراسة تأثير حالة الوفاة على أهل المتوفى، كما وجدنا محاولات لدراسة طقوس الاحتضار والوفاة والدفن والعزاء والتى تشكل المناخ الثقافى للمجتمع.

ولوحظ أن هذه الدراسات ليست نابعة من حقل البحث السوسيولوجى، ويدل ذلك على أهمية تناول الموضوع من الجانب السوسيولوجى نظراً لتأثيره الواضح فى المجتمع؛ ومن ثم اقتضى الأمر الاهتمام البحثى به. ومن هنا نعرض فى هذا الجزء من الدراسة التراث البحثى الذى تناول موضوع (الموت)، حتى يتسنى لنا أن نشير إلى الجوانب التى أغفلتها هذه الدراسات وتوضيح ما قد تضيفه دراستنا الحالية.

ونعرض للتراث البحثى من خلال محورين أساسيين:

١- **المحور الأول**: **دراسات طقوس الموت**

نعرض فى هذا المحور لمجموعة من الدراسات الأنثروبولوجية التى تتناول طقوس الوفاة، والعادات المرتبطة بالوفاة وما بعدها.

حاولت دراسة "علياء شكرى "تتبع التطور التاريخى لعادات الموت، والعوامل المؤدية إلى إحداث التغير فى العادات والطقوس المصاحبة لحدوث الوفاة، وذلك بالاعتماد على دليل لجمع المادة الميدانية، وقد أكدت الدراسة ثبات وانتشار العادات والطقوس المصاحبة للوفاة على مستوى المجتمع المصرى ككل، مما يشير إلى ملامح مهمة من البناء الثقافى للشخصية المصرية[٢٢].

وجاء فى ذات الإطار دراسة "منى الفرنوانى"، لتتناول بالدراسة عادات دورة الحياة (الميلاد– الزواج– الموت)، وإبراز ملامح التغير فى عادات الموت، والدوافع المؤثرة فى هذا التغير، واختلاف

الممارسات المتعلقة بالموضوع باختلاف الطبقة الاجتماعية فى مجتمع البحث، وتم جمع المادة الميدانية من خلال دليل من الإخباريين، وقد حرصت الدراسة على إبراز ملامح التغير فى عادات الموت، والدوافع المؤثرة فى هذا التغير، واختلاف الممارسات المتعلقة بالموضوع باختلاف الطبقة الاجتماعية فى مجتمع الدراسة[٢٣]. ودراسة "سميح شعلان" وقد توصل إلى بيانات أكثر عمقًا وتركيزًا من خلال دراسته لإحدى قرى محافظة المنوفية، وقد أكدت الدراسة أن الممارسات التى يقوم بها أهل الميت عقب حدوث الوفاة، والتى تتمثل فى إظهار علامات الحزن. بدوافع ثلاثة: الدافع الأول المعتقدات المرتبطة بوجود روح الميت وملازمتها لجثته حتى الدفن، وقدرتها على رؤية سلوك أهله المعبر عن حزنها، والدافع الثانى هو العلاقة النفسية التى كانت تربط بين المتوفى وأفراد عائلته ويتمثل ذلك فى إطلاق أهله من النساء للعبارات الدالة على ذلك، أما الدافع الثالث فيكون من خلال دفع الجماعة إلى هذه الممارسات من خلال اللوم على التقصير فى أدائها[٢٤].

وتعرض دراسة "نورية سوالمية " لما طرحه "فان جنيب" Arnold van Gennep فى كتابه "طقوس العبور" باعتبار أن الموت هو مرحلة انتقالية من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، مما يقتضى مجموعة من الممارسات، كما تطرقت أيضًا الدراسة إلى الخصوصية الإسلامية من خلال الواقع الاجتماعى والتفاعل مع الموت كحدث حتمى. وقد أوضحت الدراسة أن طقوس الموت نشأت باعتبارها مجموعة من الحركات تأتى استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى عقد صلة مع العالم المقدس، هذه الصلة تقوم على نقل الإنسان من وضع قلق إلى وضع مطمئن تقوم بارتقاء الإنسان إلى عالم علوى فوق عالمه الذى ينتمى إليه، بمعنى حياة أرفع من حياته العادية.

وأشارت الدراسة إلى أن الطقوس تعيد التوازن الداخلى للإنسان الذى يمزقه اتصاله مع تقلبات العالم الخارجى، كما تضمن هذه الطقوس وحدة الجماعة وتماسكها. وإن طقوس الموت فى مجتمعنا تخضع للأزمنة الثلاثة للفعل الطقسى (الفصل، الهامش، والإدماج) كما رسمها فان جنيب. Van Gennep وتبقى ممارسات أخرى تظل تحوى رموزا اجتماعية وتظل بتعبير بورديو تمثل رأسمالًا رمزيًا ما زال فى مجتمعنا مشفراً. وإن فهم هذه الرموز يشكل مدخلاً رئيسًا لفهم المجتمع ولفهم أنفسنا[٢٥].

أما دراسة "حفصة مريم مختار بن ونان "فقد تناولت مسألة غياب طقوس الموت وأبعادها الأنثروبولوجية والفلسفية والنفسية والاجتماعية، وتم تحديد فرضية هى: مع غياب جثة الميت، تتغير طقوس الموت لدى جماعة الميت، وهذا ما يشكل مأساة نفسية وحياة اجتماعية غير طبيعية لدى

أهل الميت؛ أى يختلف شكل الموت الذى تختفى معه الجثة عن حالات الموت الأخرى من حيث الوظيفية والشكل. وقد حددت الدراسة أربع عائلات من مجتمع البحث التابع لمدينة سيق قصدياً ومن خلال توفر شرط عدم وجود جثة الميت، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفى. ارتبط الوصف فى هذه الدراسة بذكر المعانى، والسلوكيات والحالات الاجتماعية والنفسية التى نتجت عن التقاء الموت كمعنى وجودى بالفعل المرتبط بالإنسان ككائن رمزى واجتماعى بامتياز (٢٦).

يتناول بحث "هشام دانيو مهدى بلحميتى "موضوع مجموع الممارسات الطقوسية للموت منذ لحظة الوفاة وإلى غاية الأربعين، ويتابع بالوصف عبر خط زمنى تسلسلى مجموع هذه الممارسات وربطها بثنائية الريف والمدينة بالجزائر، من خلال المقارنة بين بيئتين مختلفتين. وقد اعتمدت الدراسة على المقاربة الكيفية بتطبيق المنهج الإيكولوجى كون أن التفاعل الاجتماعى لا يكون فى الفراغ بل فى بيئة جغرافية وأهمية العلاقة بين الإنسان والبيئة، وقد خلصت الدراسة إلى أن مظاهر إحياء الطقوس الجنائزية تختلف باختلاف البيئة الجغرافية (مدينة، ريف)، كما أن مسألة التضامن الاجتماعى تكون بارزة فى الريف كما يشمل الحزن كامل القرية أو الدوار، فى حين أنه فى المدينة أصبح مقتصرا على أهل الميت فقط، وأن الريف قد حافظ على مجموع الممارسات والطقوس التى تقام بعد حالة الوفاة فى مقابل المدينة التى عرفت اختزالًا كبيرًا لهذه الممارسات خصوصًا بعد ليلة العزاء(٢٧).

تهدف دراسة "تواتية بودالية ونوال بلمدانى" إلى مراجعة الموت وطقوسه فى المعارف الدينية الذى عالج مختلف الممارسات المتعلقة بالجنائز والدفن من واقع المجتمع. والكشف عن التصورات الإسلامية لسلوك الأحياء الشرعية اتجاه الميت، وهو بطبيعة الحال جثة يجب تطهيرها وسترها، والصلاة عليها ودفنها. ثم نتوجه إلى الطقوس السلبية المتضاربة مع الشرع والمتمثلة فى الأمور المبتدعة والمحرمة وهى طقوس وممارسات جنائزية انحرفت عن الحقيقة الشرعية(٢٨).

يهدف بحث "عصمة العبادى"، و"منى العكيلى" إلى تشخيص ماهية طقوس الموت باعتبارها تشكل الحلقة الأخيرة من حلقات طقوس العبور، ومن أكثر الأحداث التى ترهب الإنسان وتفجعه، ويعالج البحث هذه الحلقة بدءاً من طقس الاحتضار والتسجية وانتهاءً بالدفن وطقوس ما بعد الدفن بإشهار الموت وإكرام الميت ومواساة ذويه بتقديم التعازى لهم ومشاركتهم أحزانهم، وبيان وظيفة ذلك فى النسق القرابى للجماعة القرابية للمتوفى والجماعات القرابية الأخرى المرتبطة بها بعلاقات ودية. ومن أهم النتائج التى توصلت لها الدراسة اختلاف مجالس العزاء باختلاف المكانة الاجتماعية

والمنزلة حيث يحظى السادة والشيوخ والوجهاء والأغنياء بمجالس عزاء كبيرة، وبحضور الكثير من المعزيين من داخل المدينة وخارجها، وتكلف مبالغ كبيرة وكثافة الإطلاقات النارية، وباتت عند البعض مصدراً للتباهى والتفاخر وخروجها عن المألوف(٢٩).

المحور الثانى: **دراسات حول التأثيرات النفسية والاجتماعية للموت**

يتناول هذا المحور مجموعة من الدراسات المتعلقة بالجوانب النفسية والاجتماعية لأهل المتوفى.

من أهم الدراسات التى كتبت حول هذا الموضوع دراسة سيد عويس "عطاء المعدمين" والتى هدفت إلى التعرف على نظرة فئة معينة من المصريين، الذين يؤهلهم المجتمع المصرى المعاصر ليؤدوا مهام القادة الثقافيين فى هذا المجتمع، نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى. أى التعرف على معنى ظاهرة الموت عندهم، وعلى مدى اعتقادهم فى وجود أو عدم وجود حياة بعد الموت، وعلى مدى خوفهم من ظاهرة الموت وكراهيتهم لها. بالإضافة إلى التعرف على أحاسيسهم عندما يموت أقاربهم أو الغرباء عنهم، ومدى اهتمامهم بأداء واجبات معينة نحو الموتى الأقارب المقربين أو الموتى الغرباء، ومدى تأثير الموتى عليهم بالأخص إن كانوا من أولياء الله الصالحين أو القديسين أو أشخاصاً ماتوا ميتة غير طبيعية.

تهدف دراسة سيد فارس إلى جمع وتوثيق نصوص "العديد" والكشف عن أبرز سمات ثقافة الموت، والمنطق الثقافى المحلى القابع خلف تصورات وممارسات شعائر الموت، والتعرف على الكيفية التى بمقتضاها تجسد ثقافة الموت تصورات ورغبات الخلود الرمزى، وتحدى الموت ثقافياً، والكشف عن أبرز سمات النموذج الثقافى الدينى للموت، واستجلاء التناقض الذى ينضوى عليه النموذج الثقافى للموت، ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة على منهجية أنثروبولوجية ارتكزت فى جمع البيانات على أدوات دليل العمل الميدانى، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات شبه الموجهة، بالإضافة إلى تحليل مضمون نصوص "العديد". وكانت أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة أن الثقافة وتحديداً ثقافة الموت (الشعائر والممارسات) تسهم فى التوافق والتعامل مع الحزن والفقد عن طريق تصورات الخلود الرمزى. وأن النموذج الثقافى للموت يحوى نموذجين متناقضين: النموذج الدينى والنموذج الثقافى الذى تجسده ثقافة الموت ونصوص "العديد"(٣٠).

تهدف دراسة "بشير معمرية" إلى التعرف على الفروق بين الجنسين وبين الفئات العمرية، فى معتقد الموت. تكونت العينة من ٨٠٢ فرداً؛ توزعوا على الجنسين وعلى الفئات العمرية الأربعة. وتراوحت أعمارهم بين: ١٦–٦٥ سنة. وقد اعتمدت الدراسة على استبانة لقياس معتقد الموت. وتم

اختبار فرضيتين هما: الأولى: توجد فروق بين الجنسين فى معتقدهم نحو الموت، والثانية: توجد فروق بين الفئات العمرية الأربع فى معتقد الموت. واعتمدت الدراسة على المنهج المقارن. توصل البحث إلى النتائج التالية: وجدت فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث، فى معتقد الموت لصالح الذكور، بالنسبة للفئتين العمريتين: (١٦- ٢٠ سنة) و(٢١- ٣٠ سنة). لم توجد فروق بين الجنسين فى معتقد الموت، بالنسبة للفئتين العمريتين: (٣١ - ٤٠) و(٤١ سنة فأكثر). لم توجد فروق بين الفئات العمرية الأربع، فى معتقد الموت، سواء بالنسبة لعينات الذكور أم لعينات الإناث. وتم تفسير النتائج وفقًا لعدة جوانب هى: طبيعة الموت وحقيقته. العمر الزمنى لأفراد العينات (راشدين)، ثقافة المجتمع التى تغلب عليها تعاليم الدين الإسلامى[٣١].

هدفت دراسة "ريم بلال" إلى التعرف على محتوى التمثلات الاجتماعية لموضوع الموت وتصنيفها، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستكشافى وفق مرحلتين؛ المرحلة الأولى تتعلق بحصر محتوى التمثلات الاجتماعية لدى مجموعة من الأفراد، وقد حددت الدراسة مجتمع الدراسة على أن تكون العينة المقصودة فى المرحلة الأولى من مجموعة غير متجانسة من الأفراد لمحاولة حصر تمثلاتهم الاجتماعية حول موضوع الموت، وتمثلت العينة المقصودة الثانية فى ثلاث مجموعات متجانسة. وقد بينت النتائج أن تمثلات المعالجين تتقارب وتمثلات الأفراد فى حداد؛ حيث تعكس تمثلاتهم الجانب الدينى الذى يلعب دور الضابط النفسى بالإضافة إلى الجانب النفسى الذى يكون أكثر لدى الأفراد فى حالة حداد، أما الأفراد العاديون فيشتركون مع العينتين السابقتين فى كلمة القبر التى تفصل بين ما قبل الموت وما بعده، بالإضافة إلى عنصر الحساب الذى يهدف إلى التذكير وتعديل السلوك[٣٢].

ويتبلور هدف دراسة "جمال شفيق وآخرون" فى التعرف على العلاقة بين المساندة الاجتماعية وقلق الموت والاكتئاب لدى عينة من أطفال مرضى السرطان، والتعرف على الفروق بين الذكور والإناث عند تطبيق مقياس المساندة الاجتماعية، والاكتئاب، قلق الموت على عينة من أطفال مرضى سرطان الدم الحاد من سن (١٢-١٥) عامًا وقد تم اختيار العينة بطريقة عمدية من مستشفى (٥٧٣٥٧)، (٥٠ من الذكور) و(٥٠ من الإناث). ولتحقيق الأهداف اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفى الارتباطى المقارن، وتم استخدام استمارة بيانات أولية، ومقياس المساندة الاجتماعية، ومقياس قلق الموت، ومقياس الاكتئاب، واستمارة المستوى الاقتصادى والاجتماعى، وتوصلت الدراسة إلى وجود ارتباط دال إحصائيا (عكسى) ضعيف بين المساندة الاجتماعية وقلق

الموت عند ٠,٠١؛ كما أثبتت الدراسة وجود فروق دالة على مقياس الاكتئاب؛ ولا توجد فروق دالة إحصائيا بين متوسطى درجات الذكور والإناث على مقياس قلق الموت[٣٣].

وهدفت دراسة "ليلى الكايد" إلى بيان العلاقة بين القيم الدينية وقلق الموت لدى المسنين المقيمين فى دور الرعاية فى الأردن، ومعرفة فيما إذا كان هناك أثر دال إحصائيا لمتغيرات الجنس، المستوى التعليمى، العمر، التواصل الاجتماعى على قلق الموت. وبلغ حجم العينة ٦٠ مسناً منهم ٢٨ ذكور و٣٢ من الإناث وهم من المسنين القادرين على التجاوب، وتم جمع البيانات من خلال استمارة البيانات الرئيسة ومقياس قلق الموت ومقياس القيم الدينية. وكشفت الدراسة أن هناك درجة متوسطة من قلق الموت لدى المسنين فى دور الرعاية فى الأردن، وأن هناك درجة عالية من القيم الدينية لديهم، بالإضافة إلى وجود علاقة عكسية قوية ما بين قلق الموت والقيم الدينية (كلما ازداد مستوى القيم الدينية لدى الأفراد قل مستوى قلق الموت لديهم) [٣٤].

وفى دراسة "أريج القيق" كشفت عن مستوى قلق الموت ومستوى الصحة النفسية لدى عينة من المسنين فى قطاع غزة، وبيان علاقة قلق الموت بالصحة النفسية، ومقارنة قلق الموت لدى المسنين المقيمين بدار رعاية المسنين، وأقرانهم المقيمين مع أسرهم، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت الدراسة المنهج الوصفى التحليلى، وتم تطبيق استمارة بيانات شخصية بالإضافة إلى مقياس قلق الموت لدى المسنين، ومقياس الصحة النفسية لدى المسنين، وتم التطبيق على عينة بلغت ٣٣ مسنًا مقيمًا فى دار رعاية المسنين، و٤٧ مسنًا مقيمًا مع أسرته فى محافظة رفح. وخلصت الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى قلق الموت لدى عينة من المسنين فى قطاع غزة تعزى لمتغير مكان الإقامة، لصالح المقيمين مع الأسرة، ولم تظهر فروق ذات دلالة إحصائية فى مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير مكان الإقامة[٣٥].

التعليق على التراث البحثى

من الملاحظ أن هناك فراغاً فى مجال دراسة موضوع الموت، وهذا الفراغ يمكن إرجاعه لخوف الناس من الحديث عن هذا الموضوع وصعوبة إجراء بحث ميدانى فيه، فالموت شيء مرعب يخاف منه الجميع ومن سيرته، ومن ثم حدث صمت فى الدراسات التى تتناول الموت، وأمام هذا الوضع كان لا بد من التفكير فى الموضوع واقتحام هذا المجال الذى أصبح أحد "تابوهات" مجتمعنا المصرى.

وقد أوضح محمد يشوتى أن الدراسات عن الموت فى المجتمع الغربى رغم تعددها وتنوعها غالباً ما تشترك فى بعض القواسم فالمتصفح لها يخرج بملاحظتين: الأولى، أن أغلبها دراسات مقارنة، ذلك أنها إما أن تدرس الموت فى المجتمع الغربى ذاته لكن فى فترات تاريخية مختلفة بغية الوقوف على تطوره اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، هذا ما نلاحظه مثلًا فى أعمال "فيليب أرييس"، و"ميشال فوفيل"، أو يكون الموت موضوع دراسة فى مجتمعات أخرى إفريقية أو هندية أو غيرهما وتكون فى ذات الوقت مقارنة بما يجرى فى المجتمعات الغربية وهذا شأن أعمال علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين كبوديرار وإدغارموران ولويس فانسان توما، وجان زيجلر، والهم لدى هؤلاء كما هو لدى أولئك هم مشترك يتمثل فى إعادة النظر فى مشكلة الموت اجتماعيًا.

الملاحظة الثانية التى لها علاقة بالأولى تتجلى فى أن هذه الدراسات لها ميل نحو تمجيد القيم الرمزية القديمة التى كانت تصاحب حدث الموت فى المجتمع الغربى القديم وتجعل منه ظاهرة، كما هو الشأن فى المجتمعات الأقل تقدمًا من الناحية التكنولوجية، وهذا التمجيد يكون دائمًا مصحوبًا بنقد سيطرة الاقتصاد والآلة فى المجتمع الغربى "لقد تغير الموت" هكذا عنون فابرلوس كتابه فى أواخر الستينات من القرن الماضى وهو عنوان غير برئ بالطبع إذ إنه ليس شهادة على التطور والتقدم التقنيين اللذين حققهما الإنسان، بل هو صوت يرتفع ضد التجاوزات واستغلال الإنسان أثناء حياته وأثناء مماته وتجريده مما تبقى فيه من إنسية فمن الموت الأليف، ومن زمن الموت الجميل، الموت وسط العائلة انتقل الغرب إلى الموت القذر بتعبير فيليب أريس، الموت فى دار العجزة لم يعد الموت كما كان فى الماضى حدثًا اجتماعيًا تعيشه الأسرة ومحيطها، بل أصبح تابوهاً يشكل الإخفاء إحدى ميزاته الأساسية لم يعد الموت شأنًا عائليًا يهم الأسرة بل شأن الاختصاصيين بحيث أصبح المال بديلاً للقيم الرمزية فهو يعوض الهجر وفقدان الحنان والمحبة اللذين كانا يربطان بين أفراد الأسرة، وكما يقول فليب أريس "أنها صورة جديدة بدأت تتكون عن الموت إنه الموت القذر، الموت الذى يخفى [٣٦].

سادساً: المدخل السوسيولوجى لظاهرة الموت

حظيت فكرة الموت باهتمام كبير فى الفلسفة والدين، ونستطيع أن نرصد بعض التأملات الميتافيزيقية والآراء الفلسفية المختلفة: فالموت حسب سقراط يتجسد فيه الخلود، وهو فى الغالب أفضل من الحياة. أما أفلاطون، فيرى فيه انعتاقًا للنفس من حصار الجسم وتحررًا لها. فى حين يعتبر أرسطو أن الموت خلود للعقل بما أن الإنسان عقل قبل كل شئ[٣٧]. فيرى سقراط أن الإنسان

مخلوق متناه وعابر، ولكن عظمته تتمثل فى تقبله لوضعه الإنسانى بحسب المسئولية. وبقوة عارمة للشخصية فى مواجهة الموت. كما سعى ديكارت إلى قهر الموت، لا فى النفس وحدها، بل فى الجسم أيضًا، والعلاج الذى يصفه للشقاء من خشية الموت يتمثل فى اقتناعه الجازم بأن أنفسنا تبقى بعد أجسادنا. وأن هذا الاعتقاد قائم لا عن تعاليم الدين وإنما على أسباب طبيعية(٣٨). ويقول أفلاطون فى دراساته عن الموت بأن "الموت هو تحرر النفس من الجسد، فهو يؤمن أن النفس موجودة قبل ميلاد الإنسان. وأنها تملك صفة الخلود بعد الموت، ولها القدرة على التحكم فى الجسد، فهى شبيهة بالآلهة الخالدة"(٣٩). وقد عرف أفلاطون الموت بقوله "تعلم الفلسفة هو تعلم كيفية الموت(٤٠).

باعتبار أن الفلسفة تحرر النفس من سجنها، ومن ثم كان الموت، فى نظر أفلاطون، "جسراً ومعبراً ينتقل بنا، من حياة النفس فى البدن، إلى حياة النفس فى عالم الصور، فالموت هو ابتداء للحياة الروحية الحقيقية، وهو الباب الذى يفتح على الأبدية" (٤١).

ومن ناحية أخرى يقول الفيلسوف الألمانى "إيمانويل كانط " Emmanuel Kant ليس الموت إلا القناع الذى يخفى نشاطًا أكثر عمقًا وأقوى مغزى وأن ما يسميه القانون بالموت هو المظهر المرئى لحياتى وهذه الحياة هى الحياة الأخلاقية، وما يسمى بالموت لا يمكن أن يقطع عملى لأن عملى ينبغى أن ينجز لأننى يتعين على أن أقوم بمهمتى فليس هناك حد لحياتى، إننى خالد" (٤٢). ويأتى هذا الكلام مطابقًا لما نريد أن نطرحه فى هذه الدراسة بأن بعد الموت الحقيقى هناك خطاب يقال على المتوفى يجعله يقوم بوظائف بالرغم من وقوع الموت الفعلى.

أما الفيلسوف "جاك شورون" فيقول "إن الإنسان الأول كان يعتبر الموت نتيجة لعوامل خارجية تحمل الشر بين طياتها، ولم يدرك أن الموت ضرورة حتمية لكل كائن حى على وجه الأرض، إلا بعد ما أحدث الله التطور فى قدراته العقلية وفى إدراكه الذى ساعده على الاستنتاج بالمقارنة لما يراه من أحداث أن البشر ميتون، حتى وإن لم يكن وراء ذلك أسباب ملحوظة. وذكر الفيلسوف الألمانى شوبنهاور فى كتابه أن العالم إرادة تتمثل عن الموت حيث قال بأن المعاناة هى بجلاء المصير الحقيقى للإنسان، كما يقول إنه يتعين النظر إلى الموت باعتباره الهدف الحقيقى للحياة لأنه فى لحظة الموت فإن كل ما تقرر حول مسار الحياة بأسرها ليس إلا إعدادًا ومقدمة فحسب، والكفاح الذى تجلى فى الحياة على نحو عابث وعقيم ومتناقض مع ذاته تعد العودة من رحابه خلاصًا.

وقد تناول الفيلسوف اليونانى "ديموقريطوس" موضوع الموت فى العديد من دراساته حيث قال بأن الروح تفنى، فعند الموت تتحول إلى ذرات دقيقة ثم تتبدد وتنتهى، وكان يهدف بذلك إلى نزع الخوف من الموت، وما يلى الموت من عقاب وزرع البهجة فى النفوس، لذا سموه بالفيلسوف الضاحك"(٤٣).

يعتبر كتاب الصور الأولية للحياة الدينية لمؤلفه "دوركايم" هو الأساس أو الركيزة الأولى لعلم اجتماع الموت، فقد درس دوركايم العديد من الطقوس الجنائزية للسكان الأصليين، وأشار إلى أنه عندما يفجع الموت إحدى الجماعات فإنها تشعر بالخسارة، ومن ثم تبحث عن بعضها البعض حتى يتجمعوا ويجددوا مشاعر التماسك بينهم لإعادة تكوين أنفسهم رمزياً وعملياً(٤٤).

كما ألمح "ماكس فيبر M. Weber" فى كتاباته عن استجابة الإنسان للموت، والاعتقاد فى الحياة الآخرة التى كانت عنده بمثابة مفتاح لتطور الرأسمالية. وتحدث "بيرجر Berger " عن النظام الاجتماعى الذى ينتجه البشر من أجل مواجهة الفوضى الناتجة عن الموت، وذلك على عكس ما جاء به "ڤيلموت Willmott" حيث أشار إلى تعطيل النظام الاجتماعى بسبب الموت. ومؤخراً اهتم عالم الاجتماع الشهير "تالكوت بارسونز T. Parsons" بموضوع الموت فى أمريكا، وجادل "بلانر Blauner" بقوة فى أن التأثير الناتج عن الوفاة يعتمد على الوضع الاجتماعى للمتوفى، وأن الموت فى المجتمعات الحديثة لم يعد يعطل النظام الاجتماعى بشكل كبير مثلما أوضح دوركايم. وفى عام ١٩٦٥ أجرى جيفرى جورر البريطانى مسحاً اجتماعياً للمواقف تجاه الموت والحزن بناءً على عينة وطنية ممثلة، وهو مشروع لايزال فريداً فى أى بلد(٤٥).

ومن هذا العرض تستطيع الباحثة التأكيد على توقف علماء الاجتماع بعد إميل دوركايم عن تناول موضوع الموت كموضوع رئيس لفهم المجتمعات، فقد أجرى العديد من العلماء أبحاثاً عن الجوانب الاجتماعية للموت، وقدموا بعض التأملات الفكرية مثل عالم الاجتماع زيجمونت باومان Zygmunt Bauman، والمنظر الثقافى جان بودريار Jean Baudrillard، ومنظرى التحليل النفسى مثل إرنست بيكر Ernest Becker، ولكن نستطيع أن نقول بأنها هامشية فى علم الاجتماع.

وبالرغم من أن كلًا من إميل دوركايم وماكس فيبر أوضحا كيف يمكن أن يكون الموت أحد المحركات الأساسية على المجتمع، وأن ممارسات ومعتقدات الموت تؤثر بعمق على المجتمع. فقد أكدوا أن المجتمع يتشكل من التفاعلات الناتجة من حالات الوفاة، على الرغم من أن دراسات

الهولوكوست وأبحاث الذاكرة الجماعية تذكرنا بأن الموت لا يزال يؤثر بشكل عميق على المجتمع. كل هذا يؤكد أن موضوع علم اجتماع الموت مازال قيد التطور والتقدم فى التشكيل النظرى والفكرى[٤٦].

سابعاً: أبعاد خطاب الموت فى مصر

موضوعات خطاب الموت

كلنا نعلم أن الله توعد غير الملتزم بالنار وأجبر الملتزمون بالجنة، ولكنه لم يذكر أن المتوفى على معصية سوف تكون رائحته كريهة أو يخرج منه الدود من حيث لا ندرى أو يسود وجهه؛ فكل ذلك أقاويل تقليدية تراثية لا نعلم عن صحتها شيئاً.

أوضحنا أن هناك اعتبارات لخطاب الموت تختلف وفقاً للتوجهات السياسية، والانتماء الطبقي، والصحة، والمرض، وصلة القرابة، والسن، وسوف نسرد هنا كلًا منها على حدة:

١- اعتبارات سياسية

مرت مصر بفترة تغيرات جذرية وقت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وظهور جماعة الإخوان المسلمين على الساحة السياسية بين المؤيدين والمعارضين لها، ورغم أن ديننا ينهانا عن الشماتة فى الموت، وهناك مقولة شهيرة وهى "اذكروا محاسن موتاكم" إلا أن المعارضين لجماعة الإخوان كان دائماً خطابهم فى أوقات وفاة أحد من القادة التابعين للجماعة هو الشماتة والتشفى، وقد لاحظنا ذلك وقت وفاة الرئيس المعزول (محمد مرسى العياط) ونستطيع أن نرصد ذلك جلياً فيما نشر بعد وفاته على مواقع التواصل الاجتماعى والدعاء عليه وليس له من جانب المعارضين للجماعة. ونستطيع أن نرصد خطابًا مشابهًا للرئيس المعزول محمد حسنى مبارك عند وفاته.

كتب فى ذلك الكاتب ثروت الخرباوى –الذى كان سابقاً أحد أعضاء الإخوان المسلمين– على موقع تويتر "لاشك أن هناك من مات وهو يدافع عن مصر ضد الإرهابيين، وهناك من مات من الإرهابيين وقياداتهم ويده ملوثة بدماء أولادنا. الأول هو من موتانا، والثانى هو من موتى جماعات الإرهاب، لا نشمت فى موته ولا نقول فيه إلا "إنَّا لله وإنا إليه راجعون".

بدوره، هاجم المدون محمود سليم الجماعة بالقول إنهم سيحوّلون مرسى لرمز وشهيد مثل ما فعلوا مع سيد قطب: "مرسى حيتحول عند الإسلاميين لرمز وشهيد كده زى سيد قطب بالظبط".

٢- الانتماء الطبقى (المكانة)

يختلف خطاب المتوفى وفقاً للوضع الطبقى له، تختلف العادات والتقاليد المرتبطة بخطاب الموت وفقاً للانتماء الطبقى للمتوفى، فكلما كان الانتماء لعائلة ذات صيت ذائع فى المجتمع كثرت الأقاويل المؤازرة لأهل المتوفى، وبالعكس كلما كان المتوفى ينتمى لطبقة اجتماعية ضعيفة غير مرغوب فيها، وفى وسطها الاجتماعى، ظهر خطاب مناقض تماماً يصف عيوب المتوفى وأهله.

فى إحدى القرى توفى أحد كبار القرية وتحدث فى ذلك أهل القرية "مافيش حد فى البلد مارحش يعزى أهله ده واجب"، "كانوا عاملين ليلة ولا ألف ليلة وليلة، جايبين شيوخ كتير اوى"، "المعزى كان ولا الفرح من كتر الأكل والدبايح"، وعلى النقيض من ذلك نجد أحد أهل القرية من الفقراء توفاه الله لنجد أهل القرية يتحدثون بالآتى "بيقدموا جبنة قديمة فى العزا"، "العزا كان فاضى عشان الناس عندنا تحب تروح العزا اللى فى شيوخ كتير وناس من كبار البلد"، "ناس غلابة ومحدش منهم يزعل لو مرحناش عزاهم"، "محدش طلع فى جنازة الراجل عشان غلبان".

وفى هذا الصدد يقول هيرتز: "تختلف المشاعر التى يثيرها الموت بشدة وفقاً للوضع الاجتماعى للمتوفى ... عند وفاة شخص رفيع المقام، ينتشر ذعر حقيقى بين كل الجماعة (بما فى ذلك الأعداء)..أما فى حالة موت أشخاص غرباء أو عبيد أو أطفال فلن يستثير ذلك أى عاطفة ولا تقام طقوس" ولهذا فإن موت القادة المهمين فى الجماعة يصيب الجميع بصدمة كبيرة ويخلق لديهم إحساسًا عميقًا بعدم التوازن، ومن ثم تحظى شعائر الجنازة لهؤلاء بأهمية كبرى ويشارك فيها أعداد غفيرة من الناس تعبيراً عن الهيبة والمكانة الرفيعة والمصاب الجماعى الكبير أيضاً[٤٧].

٣- خطاب الصحة والمرض

يأتى خطاب الموت ليكون مؤازراً لأهل المتوفي، ودائماً نتوقع أن يذكر فى الخطاب محاسن المتوفى حتى نساند أهل المتوفى فى مصابهم، ويزداد الخطاب المؤازر عندما يكون المتوفى مريضاً بمرض خطير، ونذكر هنا المقولات الدينية الخاصة بأن المتوفى إن شاء الله يوضع قدر تحمل مرضه فى ميزان حسناته عند الله أو إذا كان المتوفى مصابًا بمرض فى البطن فنجد المقولات التى تردد خاصة بأن "المبطون شهيد عند الله"، وكل ذلك يؤكد أن المتوفى فى منزلة أفضل؛ ومن ثم يشعر أهل المتوفى بالاطمئنان، وظهر ذلك الخطاب مرتبطًا ببعض الحالات التى توفت فى جائحة كورونا، ونستدعى هنا بعض الروايات التى تم تدوينها "ارتاحت من المرض"

وتأتى هنا حالة وفاة الدكتورة "عبلة الكحلاوى" الداعية الإسلامية التى توفيت متأثرة بفيروس كورونا، واعتبرها الكثير بأنها شهيدة، وقالت ابنتها فى لقاء صحفى إن لحظات غُسل والدتها شهدت علامات تؤكد أنها شهيدة. "أمى وشها كان أبيض ومنور، والمكان به رائحة طيبة، وشعرنا أن الملائكة تحاوط المكان فى مشهد تأثر به جميع الحاضرين"، وأضافت أن "كورونا هو ابتلاء يجعل أمى من الشهداء. وقناعتى أن أمى شهيدة يعطينى قوة لم أكن أعلم أنى أمتلكها".

ونستدعى هنا موقفا آخر، توفى شاب فى الثلاثين من عمره بعد زواجه بأربعة أشهر متأثرًا بفيروس كورونا وبدأت أقاويل أسرته حول "دخلت فى أوضة الغسل فى المستشفى لقيت وشه عليه ابتسامه جميلة، ووشه مليان وأبيض أوى مع إنه هو كان رفيع خالص وخمرى، وظهرتله علامة الصلاة تلات نقط متجمعين مع بعض ومكنتش عنده أصلًا". وأضاف آخرون بأن "الجنازة كانت زفة عريس من كثرة العربيات اللى ماشية وراه وقت الجنازة"، وتتباهى أسرته بكثرة الذبائح التى ذبحت وتم توزيعها على روحه فتقول والدته "أخواته دبحوا عجل ووزعوا على الغلابة، وأصحابه دبحوله خروف وعملوا وجبات للناس ووزعوها، وأصحاب أخته كمان جمعوا فلوس وجابوا رز وزيت ومكرونة وحاجات كتير عملوا شنط وادوا للناس"، بالإضافة إلى العمرات التى تمت مهداة "لروحه، "واتعملتلوا عمرتين من اصحابه ومصورنلى صورته واسمه هناك فى الحرم"، وحكى آخرون عن رؤيتهم له فى المنام بأنه "يجلس بجوار الشيخ الشعراوى" ويفسرون ذلك بأنه فى مكان كويس ومرتاح عند ربنا.

ونستدعى هنا أيضًا حالة وفاة "سمير غانم" الفنان المصرى المتوفى أثر إصابته بفيروس كورونا حيث أشار أخو المتوفى إلى أن "النهاردة كانت زفة سمير" فى إشارة منه لكثرة الحاضرين لمراسم الصلاة والدفن.

كما يظهر ذات الخطاب المؤازر فى حالات المرض بالسرطان والأمراض المستعصية.

٤- صلة القرابة

كلما كان المتوفى من القرابة الأولى زاد التعاطف وكثر حلو الكلام عنه، وكلما بعدت صلات القرابة فتكون كلمات المؤازرة قليلة وتؤكد على الدعاء بالرحمة للمتوفى.

ونستدعى هنا ذات المثال السابق للشاب الثلاثينى فنجد عائلته اخوات الشاب المتوفى عند الحديث معهم ومتابعة صفحات السوشيال ميديا Facebook الخاصة بهم فوجدناهم بشكل يومى يؤكدون فقد الأخ والدعاء له بالرحمة والمغفرة، بالإضافة إلى الكلمات المؤثرة والأدعية التى تكتب

على حالة برنامج whats aap، كما لاحظنا على مواقع التواصل الاجتماعى عندما يكون المتوفى هو الخال أو العم أو ما شابه من قرابات أبعد يكتفى بكتابة خبر الوفاة والدعاء له وطلب الدعاء من المشاركين وقت الوفاة فقط ولا يتم ذكر الخبر مرة أخرى.

٥- السن

كلما كان سن المتوفى صغيرًا (طفلًا – شابًا) كان ألم الأسرة أكبر وازدادت كلمات المؤازرة لأن المصاب كبير والأسرة تحتاج لمن يتعاطف معها.

ونستدعى هنا "إن شاء الله فى الجنة ونعيمها"، "ده اللى هياخد بايدك ويدخلك الجنة"، "هو فى أحسن مكان"، "هو عند الرحيم بيه"، "لازم تطمنى لأنه معملش أى ذنب فى الدنيا ده داخل الجنة على طول من غير حساب، وربنا ينزل عليكى الصبر"، "ده ملاك فى الجنة افرحي".

ولكن مع كبير السن يختلف الخطاب بأن الشخص كبير وأن الموضوع مسألة أعمار ويكون الوضع أخف بكثير عن موت الأطفال أو الشباب.

ونستدعى هنا عندما توفى رجل مسن فى سن ٨٤ عامًا جاءت كلمات المؤازرة بأنه "نشكر ربنا إنه كان رحيم بيه ومتبهدلش، غيره فى السن ده بيبقى عيان فى المستشفيات"، "شاف كل حاجة وكل كل الأكل اللى نفسه فيه، إحنا راضين بقضاء الله".

ونستدعى هنا بعض المقولات فى حالة المتوفى من الشباب فيقولون "النهاردة أخويا كان عريس السماء كنا بنزفه إلى السماء"، وذلك فى محاولة منهم لجعله عند الله شهيدًا يغفر له ذنوبه، وتصبيراً على المصاب بأنه فى مكانة أفضل مما كان عليه، "أختى ماتت وهى راجعة من الامتحان بس اللى مصبرنى إنها راحت لماما وهى كان روحها فيها".

وفى حال كبار السن تدور المقولات حول أنه "ارتاح من التعب وولاده ارتاحوا من خدمته"، "مكنش هيستحمل يشوف نفسه راقد كدا"، "كان هيتبهدل لو عاش على حالته دي، ربنا رحمه من التعب".

أما فى حالات الأطفال فدائماً يقولون بأن "الطفل المتوفى سوف يأخذ بيد أهله للجنة" وذلك لتنزيل الصبر والرضا بقضاء الله على الأم والأب، وأن الأطفال يعيشون كالملائكة فى الجنة، وأنه لن يحاسب ونستدعى هنا "سبقك يبنيلك بيت فى الجنة"، "تعب كتير من المرض وهو عند اللى أرحم مننا كلنا"، "هو حواليكى أدعيله مش هيسيبك."

٦- سبب الوفاة

تتعدد أسباب الوفاة ما بين الموت فى حادث أو بسبب مرض أو وفاة طبيعية. إذا مات مريضًا فيقولون "الحمد لله ارتاح وان شاء الله شهيداً" فالناس دائمًا فى حاجة إلى تصبير أنفسهم على مصابهم فى محاولة منهم لجعله عند الله شهيدًا يغفر له ذنوبه وإنه فى مكانة أفضل مما كان عليه. ولو كان الشخص مصابًا بمتلازمة داون فهو شخص "بتاع ربنا وأنه ملاك على الأرض". وأنه "لا يستحق أن يعيش وسطنا وأنه عند الله أفضل". وينطبق ذات الخطاب فى حال الحادث ويقولون "ابن موت"، "هو وقته ربنا عايزه عنده"، "نحمد ربنا انها جت على قد كدا غيرك مش بيلاقى الجثة"، "كان رايح الجامعة والعربية خبطته رايح شهيد"، "نحتسبها عند ربنا من الشهدا ماتت بعد الولادة وسابت عيالها صغيرين"، "صاحبتى اتوفت على الطريق وهى راجعة من الامتحان".

٧- خطاب مرتبط بالمعتقدات

ولا تخلو فكرة الموت، من الأساطير التى يتغنى بها شعب أية حضارة بما فيها الحضارة المصرية القديمة، ولعل أبرز أسطورة تهتم بمفهوم البعث والحساب هى تلك التى وردت بالتفصيل فيما يسمى بكتاب الموتى الفرعوني، والذى يعرف أيضاً ببردية "حونفر". هذا الكتاب يتكون من مجموعة مفصلة من التعاويذ والتمائم السحرية التى كانت تنقش على جدران المقابر أو على التوابيت، وذلك إبان عصر الدولة القديمة (ما بين ٢٧٨٠ ق.م و٢٢٦٣ ق.م)، لتتحول إلى بردية مكتوبة خلال عصر الدولة الوسطى والحديث (ما بين ٢١٣٤ ق.م و١٠٦٩ ق.م)، حيث تكتب نصوص التعاويذ وتوضع البردية فى التابوت إلى جانب المومياء.

... وتكون هذه التعاويذ والتمائم التى يحملها الكتاب أو البردية هى تعليمات إرشادية تمكن الميت من تخطى العقبات والمخاطر التى ستصادف روحه فى أثناء رحلته إلى الحياة الأخرى، وتدله أيضاً على الوسائل التى يتعين عليه أن يستخدمها، ليتمم هذه الرحلة بنجاح من دون أن يتعرض لأى سوء[٤٨].

ونستدعى هنا بعض الروايات "المتوفى واحنا بنغسله كان بيتحرك معايا كنت بغسله لوحدى عشان المساعد اتأخر عليا والمتوفى كان تقيل فكنت بقوله الميت يرفع نفسه وامد إيدى تحت ضهره فيرفع نفسه"، "المتوفى كان جسمه دافى جدا لدرجة انى شكيت إنه صاحى مش ميت"، "النعش كان بيمشى لوحده واحنا مسكينه فى اتجاه الجامع وقت الصلاة مكناش احنا اللى بنمشيه"، "كنا بندفن ست كانت بتعمل أعمال مش كويسة للناس لقينا القبر بيضيق ويضلم مش قادرين ننزل ندفنها"،

"كان عند واحد بيسحر وكانوا بيقولوا انهم لما جم يدفنوه فتحوا القبر لقوا تعبان راحو لتربة تانية بردوا لقوا تعبان ومدفنش غير لما جابوا ناس تقرا قرآن"، "جدتى اتوفت كنا فى الصيف لقينا المطرة بتمطر فوق قبرها بس مكنتش بتمطر فى أى حته تانية خالص هى كانت ست طيبة أوى".

معتقدات حسن الخاتمة

بعد إعلان حالة الوفاة يتبارى الناس فى مواساة أهل المتوفى والمعروف عنه حسن الخلق ببديع الكلام، وتكمن وظيفة هذا الخطاب "فى خلق مجال اجتماعى لدعم الأحياء فى مصابهم الأليم ودعم صورة الموتى فى مصيرهم البائس بعد الدفن"[٤٩]. كما رأى دوركايم أنه يقرب الأفراد من بعضهم البعض، ويترتب على ذلك شعور بالسلوان يعوضهم عن حالة الضعف والهشاشة التى أصابتهم بموجب الفقد"[٥٠]. وقد يتسم هذا الخطاب بالتناقض أحيانا مع واقع الثقافة المجتمعية مثلما روت إحدى السيدات "بأن الأكل الذى تم تقديمه فى عزاء زوجها كان حلو المذاق لدرجة أن الناس طلبوا أكل تانى وهذا لا يصح فى المعزى، وفسرت ذلك بكرم زوجها"، بينما يأتينا آخر ليروى لنا أن "أكل المعزى كان سيء جدًا لدرجة أن الناس رفضت الأكل وهذا أيضًا لا يصح فى المعزى، وفسروا ذلك لأن الميت كان بخيل مع أهل بيته".

ونستدعى هنا أيضًا ما حدث فى حادثة قطار رمسيس[٥١]: التضامن مع الضحايا والقول بأنهم شهداء.

وهناك بعض المقولات التى توصف بها حالة حسن خاتمة المتوفى:

"النعش بيجرى عايز يوصل بسرعة"، "الغسل كان سريع أوى مخدناش وقت ودفنا بسرعة ربنا عايزه يروح له بسرعة عشان راجل طيب"، "الشوارع فاضية وإشارات المرور مفتوحة مافيش أى حاجة معطلة الطريق قدام عربية المتوفى رغم أنه كان يوم عمل عادى"، "لما روحنا الترب لقينا كمية مقرئين جايين يقرأوا قرآن، عمرى ما شفت ناس كتير كدا جاية تقرا على القبر"، "عملنا العزا مكنش بيفضى من الناس لدرجة أن المقرىء كان بيوقف قراءة قبل الربع ما يخلص عشان الناس تقوم وغيرهم يدخل العزا، بابا كان حبيبه كتير"، "واحنا بنغسله كان بيضحك وشه مبتسم شايف اللى رايح له شكله إيه"، "جوزى مات وهو ساجد مافيش موتة أحسن من كدا"، "زبيبة الصلاة ظهرت لأخويا تلاتة جنب بعض والناس كلها عمالة تقول هو مستعجل كدا ليه عشان طبعا شايف إنه رايح لمكان حلو عند ربنا، أخويا أصلًا كان خمرى لما دخلت أشوفه كان وشه منور وأبيض"، مسئولة عن مدفن تقول "فتحت التربة مرة أنا وجوزى لقيناها بتهل بنور وريحة حلوة، لما بيكون الميت راجل

صالح بتبقى تربته سهلة ومنورة ونضيفة"، "كان يده فرطة مع الناس واتوفى وهو بيصلى وفى الغسل كان على جبينه كور لؤلؤ (نقاط ماء) وكان قبل الوفاة مريض لفترة طويلة فعنده قرح فراش لما سألت المغسل قال مافيش حاجة فى جسمه خالص"، "أبويا راجل كبير فى السن وكان عنده علامات العجز فى وشه لما دخلت ابص عليه وهما بيغسلوه ملقتش العلامات دى ولقيتهم بيقولوا غسله سهل وهين".

معتقدات سوء الخاتمة

مثلما يتبارى الناس بذكر محاسن الموتى، أيضًا فهم يذكرون الموتى بمساوئهم والأخص إذا كانت علامات سوء الخاتمة ظاهرة خلال تشييع الجثمان، ويأتى هذا الخطاب متبوعًا بعد جملة "لا يجوز عليه غير الرحمة" وينهالوا بسئ الكلام عن المتوفى، ولكن يوجد أعمال نظن أنها سيئة ولكنها عند الله خير وأبقى فقد مات شخص على جماع مع زوجته وظنت أنه مات على معصية ولكن بسؤال الشيخ أجاب بأنه كان يرضى الله لأنه كان يؤدى واجباته تجاه زوجته.

ونستدعى هنا بعض الروايات التى تدل على سوء خاتمة المتوفى:

"ماكنش فى حد ماشى ورا الجنازة"، "نصبوا صوان كبير ومحدش حضر فيه خالص"، "الراجل وانا بغسله كان جسمه بيطلع حرارة غريبة وتقيئ بسائل غريب من أنفه وفمه"، "لفوا كتير عشان يلاقوا مكان ياخدوا فى العزا ما فيش خالص اتسددت فى وشهم من عمله"، "بنته ولدت امبارح وهو مات النهاردة بت شؤم وشها وحش عليهم"، "كانت موتة أستغفر الله العظيم وحشة جدا، كان وشه عليه غضب ربنا"، "كل حاجة كانت متعقدة فى الدفن"، "كان فى راجل فى شارعنا كان عمله فى الدنيا وحش يوم وفاته ملقوش مكان ياخدوا فيه العزا ولا أى دار مناسبات كلها محجوزة ومحدش راح يعزى فيه"، "كان فى راجل جارنا لما جم يكفنوه الكفن ماغطاهوش كله واتأخروا فى دفنه عشان بعتوا ناس تشترى كفن تانى"، "كل ما القرآن يشتغل فى العزا كان فى غراب بيعمل صوت وحش أوى قريب من صوان العزا"، "كان يوم غريب من أوله الدنيا بقلها تلات ايام بتمطر والأرض متبهدلة مش عارفين نمشى وراه ولا عارفين ندفنه"، "ولاده كانوا فى القاهرة وهو فى البلد واتوفى على ما بلغنا ولاده اتأخروا فى المجى أوى واضطروا يدفنوه تانى يوم وكان الجو حر وريحته طلعت"، "مات فى شقته لوحده واكتشفوا بعد يومين إنه ميت جوه بس كان راجل وحش فى أخلاقه أوى"، "جارنا نزل ومات فى الشارع ومحدش اتعرف عليه راح بات فى تلاجة المستشفى أسبوع لحد

ما أهله اتعرفوا عليه وأخدوه يدفنوه"، "وقت الجنازة كان فى صوت حمار وحش أوى"، "ساعة الوفاة سمعنا صوت بومه كلنا اتشائمنا من صوتها".

جـ – خطاب مرتبط بتوقيت الوفاة

إذا مات يوم الخميس أو الجمعة فالناس يطلقون لسانهم لحلو الكلام على هذا الشخص المتوفى وبالتأكيد إذا توفى فى الأشهر الحرام والأخص شهر رمضان أو أيام الحج أو إذا توفى وهو يؤدى فريضة الحج أو العمرة أو فى أوقات الفجر أو وهو يصلى. ونستدعى هنا بعض الروايات:

"أبويا رجع من الحج غاسل كل ذنوبه أول ما رجع جتله جلطه مبقاش يتكلم كأن ربنا عايزه من غير ولا غلطه وبعد يومين مات وراح لربنا مغسول ونضيف"، "بابا وماما ماتوا فى الحج هما عند ربنا فى أحسن مكان وكل الناس بتقولى كدا"، "أمى أتوضت وصلت الفجر وماتت وهى على المصلية الناس بتحسدها على موتتها"، "الناس كلها بتحكى على موتة أبويا مات وهو ساجد فى الجامع بعد صلاة العصر"، "جدتى أتوفت فى أول يوم فى رمضان".

ثامناً: مناقشة نتائج الدراسة

(١) خصائص خطاب الموت

كشفت الدراسة عن بعض السمات التى يتصف بها خطاب الموت، ومنها:

أ- **التناقض:** يكشف لنا خطاب الموت عن حالة من التناقض فتارة نجد خطابًا متعاطفًا ومؤازرًا لأهل المتوفى وهو الخطاب المتعارف عليه والسائد، ومن ناحية أخرى ينتج السياق خطاباً غليظًا شامتًا يدلل على سوء الخاتمة والعاقبة المريرة التى سوف يلقاها المتوفى لأنه من المعروفين بتعاطى المخدرات أو الخمور أو سوء أخلاقه، وقد أكدت دراسة سيد عويس ذلك حيث أشار إلى أن الرثاء يتضمن السخرية اللاذعة حينما يكون المتوفى من متعاطى المخدرات مثلًا، ومن أمثلة الرثاء اللاذع "شاف الحكيم الجدع نايم وقال لامه.. بايه أداوى عليلك والدوا سمه؟[٥٢]

ب- **المبالغة:** كشفت الدراسة عن ميول المجتمع نحو تفسير المجهول وصبغه بأهوائهم الشخصية فإذا كان المتوفى من الأشخاص المقربين والمحبوبين ينهالوا على أهل المتوفى بسيل من الخطاب المتعاطف وذكر محاسن أفعال المتوفى مع إضفاء نوع من المبالغة؛ مثل (النعش بيجرى –دى كانت زفة عريس مش دفن – ده ميت شهيد – غسله سهل ومر بسرعة –

رائحة المسك تخرج من المتوفى– الميت وشه نور وأبيض رغم أنه لونه خمرى– رسمت علامة الصلاة على وجه المتوفى رغم عدم وجودها قبل الوفاة...)، ويأتى ذلك على العكس تمامًا فى حال أن يكون المتوفى غير مقبول اجتماعيًا (يومه صعب – حتى الجامع قافل فى وشه مش عارفين نصلى عليه فين – سماع صوت البومة والحمار– وجود غراب حول منزل المتوفى – كنا تايهين واحنا رايحين ندفن، متعب فى حياته وحتى فى مماته...).

جـ- **التفاؤل:** تكشف قراءة خطاب الموت عن الميل نحو التفاؤل لما سوف يلقيه المتوفى ولأن مصيره بيد الله واهب الخير، ولا يملك أهل المتوفى غير الرجاء من الله بأن يحسب فقيدهم على خير، وقد أوضحت عينة الدراسة أن المتوفى عندما يكون وجهه باسماً أو أَبيضَ وجه المتوفى فهو يرى مكانته عند الله.

د- **التعاطف:** يعتبر خطاب الموت هو خطابًا للتخفيف من آلام أهل المتوفى وأحزانهم ويشعرهم بالمشاركة الوجدانية، وهذا يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية المتضامنة والمتآزرة.

هـ - **النصح:** يميل الخطاب إلى نصح أهل المتوفى بالثبات والتحلى بالصبر، أملاً بأن المتوفى ذهب للمكان الأفضل، وذلك بالأخص فى حالات فقد الأطفال والشباب.

و - **القصدية:** كشفت لنا الدراسة عن خطاب يتسم بالقصدية، فهو خطاب موجه لأهل المتوفى ويحمل فى طياته رسائل تعكس تعاطفًا مع المتوفين من صغار السن (أطفال وشباب)، والشهداء، ومن هم من ذوى الهمم، والسيدة الحامل، وقد يدلنا ذلك على أن مشهد الوفاة هو من يصوغ الخطاب الذى ينتج داخل الموقف، فللسياق دور مهم فى إنتاج الخطاب.

ز- **التكيف:** أوضحت الدراسة أن خطاب حسن الخاتمة ما هو إلا محاولة لتكيف أهل المتوفى مع مسيرة الحياة والتغير الذى حدث لهم بسبب الفقد.

ح - **أسطورى:** ينطوى خطاب الموت على جانب من التخاريف الأسطورية، كما أنه يتضمن تصورات ومعتقدات ثقافية واجتماعية متوارثة ومتعاقبة حول صورة المتوفي، سواء بحسن الخاتمة أو سوء الخاتمة، ويتجلى ذلك فى النصوص المطروحة داخل النص.

ط - **الخوف والرهبة:** يسود خطاب الخوف والرهبة فى الخطاب الصادر عن أهل المتوفى من المصير المجهول الذى سوف يلقاه المتوفى.

(٢) العوامل التى تؤثر فى خطاب الموت

- كشفت قراءة خطاب الموت أن هناك العديد من العوامل التى تؤثر فى خطاب الموت مثلما أوضحنا ومنها السن والانتماء الطبقى وطبيعة الوفاة وصلة القرابة والاعتبارات السياسية والاجتماعية، وذلك يدل على تعدد وتنوع الخطاب.
- يرتبط خطاب الموت بشكل ملحوظ جدًا بالمكانة الاجتماعية للمتوفى، ويظهر ذلك بشكل جلى فى الطقوس والخطابات التى تقال عن المتوفى، وتتشابه هذه النتيجة مع دراسة عصمة العبادى، منى العكيلى[٥٣] التى أشرنا لها سابقًا.
- أكدت الدراسة أن من المؤثرات الرئيسة فى خطاب حسن الخاتمة هو عمر المتوفى ومكانته الاجتماعية، وقد تم التأكيد على هذه النقطة فى "الفرضية التى طورها روبرت بلونر فى دراسته عن الموت والبناء الاجتماعى عام ١٩٦٦، حيث يرى أن المحدد الرئيس للتأثير الاجتماعى للوفيات يكمن فى العمر والوضع الاجتماعى لأولئك الذين يموتون"[٥٤].

(٣) وظيفة خطاب الموت

بينت الدراسة أن هناك عدة وظائف يلعب خطاب الموت فيها دورًا رئيسًا وهى على النحو التالى:

- **وظيفة اجتماعية:** أظهرت قراءة الخطاب عن وظيفة اجتماعية كامنة بداخله، فهو يعمل بمثابة رأسمال رمزى لديه قطبان أحدهما إيجابى والأخر سلبى مثلما أوضحنا، فبعد الوفاة هناك من يحصد ويرث السيرة العطرة للمتوفى، كما يحرص أهل المتوفى حرصًا بالغًا على إظهار الدلالات التى توضح حسن خاتمة المتوفى، مما يؤكد فكرة رأس المال الرمزى الذى يتركه المتوفى لأسرته، ومن ناحية أخرى نجد من يحصد السمعة غير الطيبة، وتعد الوظيفة الاجتماعية من الوظائف الداعمة لفكرة الخلود التى يفضلها المجتمع منذ أجدادنا الفراعنة.
- يؤكد خطاب الموت والمشاركة فى طقوس الوفاة على التماسك الاجتماعى كما طرح دوركايم فى كتابه بعنوان "الأشكال الأولية للحياة الدينية" النظرية التى تقول إن الشعائر الجنائزية تعبر عن وحدة المجتمع وتماسكه، وأن وظيفتها تكمن فى تحقيق التضامن الاجتماعى، ويشير دوركايم إلى هذا المعنى بقوله: "عندما يموت شخص ما، تشعر الجماعة التى ينتمى إليها بأن ذلك ينتقص منها، واستجابة لهذا الفقد، فإنها تتضامن فيما بينها. ومن ثم تتجدد المشاعر الجماعية التى تدفع بكل شخص فى الجماعة إلى التماس الاهتمام ببعضهم البعض والتجمع معاً"[٥٥].

- **وظيفة نفسية:** وعلى الجانب الآخر هناك وظيفة نفسية لخطاب الموت، فيعتبر الموت صدمة يدخل فيها أهل المتوفى، وهنا يأتى دور العلاقات الاجتماعية لتلعب دور المعالج النفسى التى تحيط بعائلة المتوفى لتأخذ بيدهم إلى بر الأمان بعيداً عن الأزمات النفسية التى تحيط بهم بعد حدوث حالة وفاه لذويهم.
- وأتضح لنا أن التعزية (خطاب حسن الخاتمة) يلعب دوراً مهمًا فى تهدئة وتصبير أهل المتوفى على ما أصابهم من ألم وفقد، ويشير فى ذلك الصدد سيد عويس إلى أن التعزية كنظام اجتماعى، تقوم بوظيفة المجاملة[٥٦]. فرغم أن عالم الموت مجهول إلا أن أهل المتوفى يسعون دائماً لتوضيح أن متوفاهم فى الجنة.
- **وظيفة دينية:** رصدت الدراسة وجود وظائف دينية داخل خطاب الوفاة، وتظهر فى الأقوال التى تحدث بها مجتمع البحث عن المتوفين، وهى أيضاً تلعب دور المآزر لأهل المتوفي.
- ومن ثم نجد أن خطاب الموت له وظيفة اجتماعية ونفسية ودينية وبالأحرى سياسية كما أوضحنا. وهذا ما يشير إليه هيرتز "أن الموت بالنسبة للبشر ليس مجرد حدث بيولوجى، بل هو حدث اجتماعى وأخلاقى عميق، فهو مناسبة يعبر فيها المجتمع عن بعض قيمه أو معتقداته أو أفكاره الأساسية على نحو ما يشير إلى ذلك هيرتز فى عبارة: التمثيلات الجمعية للموت collective representations of death"[٥٧].

المراجع

١- صانع محتوى على موقع Youtube، وانستجرام، كان لديه أكثر من مليون متابع على حسابه الشخصى على الانستجرام.

٢- معنى كلمة (الترند) هو الحدث الأشهر والذى يشغل بال رواد منصات التواصل الاجتماعى فى خلال فترة معينة.

٣- عبد الرحيم بوهاها، طقوس العبور فى الإسلام: دراسة فى المصادر الفقهية، بيروت: مؤسسة الانتشار العربى، ٢٠٠٩، ص ٢٣٣.

٤- Gennep, Arnold Van, The Rites of Passage. University of Chicago, 2019.

٥- سميث شارلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من الأساتذة بإشراف د. محمد الجوهرى، القاهرة، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩، ص ٥٠٥.

٦- حفصة مريم مختار بن ونان، الموت فى غياب الطقوس: رؤية انثروبولوجية، الملتقى الوطنى الأول حول الموت فى الممارسات الثقافية فى الجزائر، ١٤-١٥ فبراير ٢٠١٧، جامعة مصطفى اسطمبولى - معسكر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ٢٠١٧، ص ص ٥٨-٥٩.

٧- سميح شعلان، الموت فى المأثورات الشعبية، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٠، ص ١١.

٨- Frohmann, Brend, The Power of Images: A Discourse Analysis of Cognitive Viewpoint, Journal of Documentation, Vol. 48, No. 4, (1992) pp. 365-386.

٩- أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣، ص ٢٥.

١٠- أحمد زايد، تصميم البحث الاجتماعى: أسس منهجية وتطبيقات عملية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢، ص ١٦٨.

١١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج١، القاهرة، ط٣، ص٢٥٠.

١٢- إديث كيرزويل، عصر البنيوية، ترجمة: جابر عصفور، الكويت، دار سعاد الصباح، ط١، ١٩٩٣، ص٣٧٩.

١٣- أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية فى المجتمع المصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٠-٢١.

١٤- بيار أشار، سوسيولوجيا اللغة، تعريب عبد الوهاب تـزور، بيروت، منشـورات عويـدات، ط١، ١٩٩٦، ص ١١٠.

١٥- Krishnamurti, The Meaning of Death, Brussels, 1956.
متاح على الموقع: http://kfoundation.org

١٦- John Daintith, Elizabeth A. Martin, A Dictionary of Science, Oxford University Press, New York, 2010, p. 223.

١٧- عبد الوهاب طارق، وفاء مسعود، قلق الموت وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية فى أنماط شخصية المدمن، مجلة علم النفس العدد ٥٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٧٩.

١٨- أحمد محمد عبد الخالق، غسان صالح، الانشغال بالموت: دراسة مقارنة على عينات سورية، دراسات نفسية، المجلد التاسع العدد الثانى، القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية، ١٩٩٩، ص١٧٨.

١٩- أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٧، ص ص ١١-١٣.

٢٠- أسماء عبد المنعم إبراهيم، مفهوم الموت لدى الأطفال وعلاقته ببعض المتغيرات: دراسة ميدانية، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد الثامن، العدد ١٨، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات النفسية،١٩٩٨، ص ١٠٦.

٢١- محمد يشوتى، خطاب الموت، مجلة علامات، العدد ١٥، المغرب،٢٠٠١، ص ٣٩.

٢٢- انظر: علياء شكرى، الثبات والتغير فى عادات الموت فى مصر منذ العصر المملوكى وحتى العصر الحاضر، رسالة دكتوراه، جامعة بون، ألمانيا الغربية، ١٩٦٨.

٢٣- انظر: منى حامد الفرنوانى، بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الريف المصرى كما تعكسه دورة الحياة: دراسة متعمقة لقرية مصرية، القاهرة، رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٩.

٢٤- انظر: سميح شعلان، الموت فى المأثورات الشعبية، مرجع سابق.

٢٥- انظر: نورية سوالمية، طقوس الموت بين طرح فانجنيب والخصوصية الإسلامية، الملتقى الوطنى الأول حول الموت فى الممارسات الثقافية فى الجزائر، مرجع سابق، ص ص ٣٣-٤٤.

٢٦- انظر:حفصة مريم مختار بن ونان، مرجع سابق، ص ص ٤٥-٦٠.

٢٧- انظر: هشام دانيو مهدى بلحميتى، الممارسات الطقوسية الجنائزية بين الريف والمدينة بالجزائر: دراسة ميدانية بمدينة مستغانم، الملتقى الوطنى الأول حول الموت فى الممارسات الثقافية فى الجزائر، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٩.

٢٨- انظر: تواتية بودالية ونوال بلمداني، الموت وطقوسه فى الفقه النوازلى – نوازل الونشريسى أنموذجا، الملتقى الوطنى الأول حول الموت فى الممارسات الثقافية فى الجزائر، مرجع سابق، ص ص ١١١- ١٢٩.

٢٩- انظر: عصمة العبادى، منى العكيلى، طقوس العبور: دراسة أنثروبولوجية ميدانية لشعائر الوفاة فى مدينة قلعة صالح، مجلة آداب المستنصرية، ع ٦٢، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١٣، ص ص ١-٣٠.

٣٠- انظر: سيد محمد على فارس، النموذج الثقافى للموت والخلود الرمزى: تحليل أنثربولوجى نفسى لمضمون نصوص العديد. مجلة كلية الآداب، جامعة بنى سويف، عدد خاص، ٢٠١٦.

٣١- بشير معمرية، معتقد الموت لدى أربع فئات عمرية مختلفة من الجنسين: بحث نفسى ميدانى ، مركز البصير للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، ع ١٤،الجزائر، ٢٠١٧، ص ص ٩٣-١٠٨.

٣٢- انظر: ريم بلال، مرجع سابق، ٢٠١٧، ص ص ٧١-٩٦.

٣٣- انظر: جمال شفيق وآخرون، المساندة الاجتماعية وعلاقتها بكل من قلق الموت والاكتئاب لدى عينة من أطفال مرضى السرطان، مجلة كلية الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مج ١٦، ع ٥٩، يونيه، ٢٠١٣، ص ص ٩٣-٩٦.

٣٤- انظر: ليلى شافع الكايد، قلق الموت والقيم الدينية لدى المسنين فى دور الرعاية فى الأردن، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٥.

٣٥- انظر: أريج خليل القيق، قلق الموت وعلاقته بالصحة النفسية لدى عينة من المسنين... دراسة مقارنة بين المسنين القائمين بدور المسنين وأقرانهم العاديين، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٦.

٣٦- محمد يشوتى، مرجع سابق، ص ٣٩.

٣٧- مصطفى البحرى، الجائحة وبعد: حينما يكون الموت وكأنه ضرب من الحياة: دراسة سوسيولوجية، مؤمنون بلا حدود، ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١، متاح على الرابط: www.mominoun.com

٣٨- وفيق غريزى، نظريات فلسفية حول الموت، بيروت: دار نلسن، تم الاعتماد فى هذه الدراسة على مراجعة أنور محمد المنشورة على موقع البيان، بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠١٣ متاح على الموقع التالى:

albayan.ae/books/from-arab-library

٣٩- نظريات وآراء أهم الفلاسفة عن الموت، ٢٥ إبريل ٢٠١٨، متاح على الموقع التالى:

http://www.annajah.net

٤٠- Lannone,A. Pablo, Dictionary of World Philosophy, Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 2001, p. 136.

٤١- عبد الرحمن بدوى، مشكلة الموت، المجلد السادس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢، ص ص ١٦٨-١٧٠.

انظر: عبد الرحمن بدوى، الموت والعبقرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٢.

٤٢- نظريات وآراء أهم الفلاسفة عن الموت، ٢٥ إبريل ٢٠١٨، متاح على الموقع التالى:
http://www.annajah.net

٤٣- المرجع السابق.

٤٤- Durkheim. Emile, The Elementary Forms of Religious Life, Translated by. Karen E. Fields, the free press, New York, 1995.

٤٥- Tony Walter, The Sociology of Death. Vol 2, Issue 1, 14 January, 2008, pp. 317-336.

٤٦- Ibid, pp. 317-336.

٤٧- Hertz, Robert,Death and the Right Hand, Translated by. Rodney and Claudia Needham, Cohen and West, 1960.

٤٨- مهدى بو عبيد، كتاب الموتى الفرعونى وأسطورة البعث من الموت والحساب أمام الآلية، مركز القلم للأبحاث والدراسات، ٨ ديسمبر ٢٠١٧، متاح على الرابط: https://elqalamcenter.com

٤٩- سعيد المصرى، الفناء فى الثقافات الإنسانية: قراءة نقدية فى انثربولوجيا الموت، مجلة البلاغة المقارنة (ألف)، العدد الثانى والأربعون، ٢٠٢٢، ص ص ١٦-١٧.

٥٠- المرجع السابق، ص ١٨.

٥١- حادث قطار محطة مصر حدث فى ٢٧ فبراير ٢٠١٩، اصطدم جرار القطار بالحاجز الخرسانى متسبباً فى حدوث انفجار وحريق كبير أسفر عن إنهاء حياة ٢١ شخصًا وإصابة ٥٢ آخرين.

٥٢- انظر: سيد عويس، ظاهرة الموت فى حياة المصريين، مجلة الفكر المعاصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥٠، إبريل ١٩٦٩، ص ص ٦٩-٧٩ .

٥٣- انظر الجزء الخاص بالدراسات السابقة دراسة عصمة العبادى، منى العكيلى، مرجع سابق.

٥٤- سعيد المصرى، مرجع سابق، ص ١٦.

٥٥- المرجع السابق، ص ١٦.

٥٦- انظر: سيد عويس، مرجع سابق، ص ص ٦٩-٧٩.

٥٧- سعيد المصرى، مرجع سابق، ص ١٦.

Abstract

SOCIOLOGY OF DEATH: POST-MORTEM DISCOURSE ANALYSIS

Asmaa Fareed

This study aims to reveal the hidden meaning behind the discourse of death, and to reveal how society views the deceased, in addition to the society pereceptions about death. It utilizes a form to record and observe 50 situations from different places (Streets, homes, Social media) Afterwards, these situations have been qualitatively analyzed using the discourse analysis approach in order to reveal the connotations and meanings behind the discourse.

This Study concludes that there are symbolic connotations of the discourse about a deceased person, which is affected by social class, political affiliation, age, health, disease, etc.
key words:
Death - Discourse - Discourse Analysis- Sociology of death